Al-Marjān Research Journal
Open Access
Al-Marjān Research Journal
ISSN(E): 3006-0370
ISSN(P): 3006-0362
al-marjan.com.pk

Characteristics of the Development of Prose in Andalusian Literature: An Artistic and Analytical Study

سمات لتطور النثر العربي في الأدب الأندلسي:دراسة تحليلية فنية

Authors Details

1. **Dr. Rana Amanullah**
   Assistant Professor, Department of Arabic, National University of Modern Languages (NUML), Islamabad, Pakistan.
2. **Dr. Farah Naz** (Corresponding Author)
   Assistant Professor, Department of Arabic, National University of Modern Languages (NUML), Islamabad, Pakistan.
   Email: **Farah.naz@numl.edu.pk**

Citation

Amanullah, Dr. Rana and Dr. Farah Naz." Characteristics of the Development of Prose in Andalusian Literature: An Artistic and Analytical Study." *Al-Marjān Research Journal* 3,no.2, April–June (2025): 106−118.

Submission Timeline

Received: Mar 09, 2025
Revised: Mar 24, 2025
Accepted: April 15, 2025
Published Online: May 07, 2025

Publication, Copyright & Licensing

Article QR

Al-Marjān Research Center, Lahore, Pakistan.

All Rights Reserved © 2023.

This article is open access and is distributed under the terms of Creative Commons Attribution 4.0 International License

Characteristics of the Development of Prose in Andalusian Literature: An Artistic and Analytical Study

سمات لتطور النثر العربي في الأدب الأندلسي:دراسة تحليلية فنية

د. رانا أمان الله ☆ د. فرح ناز ☆

Abstract

This study explores the artistic and analytical development of prose in Andalusian literature, tracing its evolution from early imitative forms influenced by Eastern Arabic traditions to its mature, independent expression. In its initial stages, Andalusian prose was largely characterized by rhetorical sermons, political speeches, and formal correspondence, reflecting the styles of the Abbasid era. However, as Andalusian culture flourished, prose gained unique artistic features and a distinctly local voice. Literary epistles became a platform for creativity, while philosophical and scientific writings by figures like Ibn Tufayl and Ibn Rushd introduced deep intellectual discourse. The study highlights the rise of ornate literary prose in the works of writers such as Ibn Hazm, Ibn Shahid, and Lisan al-Din Ibn al-Khatib, where stylistic devices like saj‘ (rhymed prose), parallelism, and rhetorical imagery reached their peak. Through a detailed analysis, the research underscores the aesthetic, intellectual, and structural advancements of Andalusian prose and its enduring impact on Arabic literary tradition. This research paper provides a comprehensive artistic and analytical study of the development of prose in Andalusian literature from its early foundations to its peak maturity. The study begins by examining how early Andalusian prose was heavily influenced by the Abbasid style, particularly in forms such as official letters, religious sermons, and political speeches. These forms adhered closely to the traditional Arabic rhetorical and stylistic models, mirroring the cultural and literary dominance of the East.As Andalusian society evolved, a distinct literary identity emerged, and with it, prose writing began to reflect the intellectual, social, and aesthetic dynamics of the region. The study analyzes how prose diversified into various genres, including literary epistles, philosophical discourse, historical writing, and narrative allegory. Notable figures such as Ibn Hazm, Ibn Shahid, Ibn Tufayl, Ibn Rushd, and Lisan al-Din Ibn al-Khatib are examined as representative voices of this development. Their writings demonstrate a sophisticated command of language, a deep philosophical and cultural awareness, and a refined use of stylistic devices such as saj‘ (rhymed prose), parallel structure, imagery, and symbolism.

Keywords: Andalusian prose, Arabic literature, Literary development, Artistic expression, Analytical study, Literary aesthetics, Rhetorical beauty, Stylistic features.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة (NUML)، إسلام آباد، باكستان.

* أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة(NUML) ، إسلام آباد، باكستان.

المقدمة

يُعد الأدب الأندلسي مرآةً صافية تعكس الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية التي عاشتها الأندلس على مدى قرون، وقد شهد هذا الأدب تطورًا ملحوظًا في فنيه الرئيسيين: الشعر والنثر. وإذا كان الشعر الأندلسي قد حظي بنصيب وافر من الدراسة والاهتمام، فإن النثر لم يكن أقل شأناً، بل تطور بشكل تدريجي ليعكس التغيرات الثقافية والبيئية التي مرت بها الأندلس. بدأ النثر الأندلسي بسيطًا ومحدود الأغراض، متأثرًا بالنماذج المشرقية، خاصة في الكتابات الدينية والرسائل الرسمية، ثم ما لبث أن تطور وتنوّع، فظهرت فيه أنماط جديدة كالخطابة والرسائل الأدبية، وبلغ ذروته في فترات لاحقة مع بروز فنون نثرية أكثر تعقيدًا، كالمقامات والنقد الأدبي والسير الذاتية.وقد أسهم في تطور النثر الأندلسي عدة عوامل، أبرزها الانفتاح الثقافي على المشرق العربي، والاحتكاك بالحضارات الأوروبية، إلى جانب ازدهار الحياة العلمية والفكرية، ووجود عدد من الكتّاب المبدعين الذين طوّروا الأساليب الفنية ووسّعوا من وظائف النثر. في هذه الدراسة، سنتناول مراحل تطور النثر في الأدب الأندلسي، من بداياته التقليدية إلى بلوغه أوج الإبداع والتنوع، مع تسليط الضوء على أبرز الأشكال النثرية وأشهر أعلامه.يهدف هذا البحث إلى تحديد المشكلة البحثية وفهم أبعادها النظرية والعملية ضمن السياق العلمي أو الأدب، ثم تقييم الأدبيات السابقة ذات الصلة بالموضوع، والكشف عن أوجه الاتفاق أو الاختلاف مع الدراسة الحالية اقتراح حلول أو رؤى جديدة تسهم في تطوير المجال المعرفي الذي يتناوله البحث لإجابة على أسئلة البحث أو اختبار فيتناول هذا البحث تطور النثر في الأدب الأندلسي من حيث أشكاله، أساليبه، ووظائفه الاجتماعية والثقافية. ويسعى إلى إبراز الخصائص التي تميز النثر الأندلسي عن نظيره في المشرق العربي، وتسليط الضوء على أعلامه البارزين.روضه عبر أدوات منهجية مناسبة. تحديد أبرز أنواع النثر الأندلسي (الرسائل، المقامات، الخطابة، التوقيعات، إلخ. تحليل الأساليب الفنية المستخدمة في دراسة العوامل السياسية والاجتماعية والدينية التي أثرت على تطوره. يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تتبع تطور النثر الأندلسي زمنياً، وتحليل نماذج مختارة منه. يُعد الأدب الأندلسي جزءًا لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية، وقد تميز بطابعه الخاص الذي نتج عن التفاعل بين البيئة الأندلسية والثقافة العربية الإسلامية. وإذا كان الشعر قد احتل الصدارة في القرون الأولى، فإن النثر الأندلسي لم يكن أقل شأنًا، بل تطور عبر العصور ليعكس نضج الفكر ورهافة الذوق الفني لدى الأدباء الأندلسيين.في بداياته، تأثر النثر الأندلسي بالنثر المشرقي من حيث الأسلوب والمضمون، وخاصة بالنثر العباسي، حيث كانت الخطابة الدينية والسياسية، والرسائل الإخوانية والرسمية، أبرز أشكاله. غير أن النثر لم يلبث أن تطور تدريجيًا، فاكتسب سمات فنية مستقلة وملامح تعبيرية جديدة.ظهر ذلك واضحًا في فن الرسائل الأدبية، التي تحوّلت من مجرد وسيلة تواصل إلى مجال للإبداع الأدبي، وبرز فيها كتّاب مثل ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد، الذي مزج بين الأدب والحكمة والتاريخ، وابن شهيد الأندلسي الذي كتب رسالة "التوابع والزوابع"، بأسلوب فني ساخر، يمزج بين الخيال والنقد الاجتماعي والأدبي.أما في المجال الفلسفي، فقد تجلّى النثر الأندلسي في أبهى صوره عند ابن طفيل في قصته حي بن يقظان، التي تعد نموذجًا فلسفيًا رمزيًا فريدًا، جمع فيه الكاتب بين السرد القصصي والتأمل العقلي. كذلك أسهم ابن رشد وابن خلدون في إثراء النثر العلمي والفكري بأسلوب متين ودقيق. وشهد النثر الفني أوج تطوره في القرن السابع الهجري، خاصة في أعمال لسان الدين بن الخطيب، الذي كتب في التاريخ، والسيرة، والرسائل، بلغة مزخرفة، تتسم بالصور البلاغية والمحسنات اللفظية، حتى غلب أحيانًا على بعض أعماله الزخرف اللفظي على حساب العمق الفكري فنيًا، يتميز النثر الأندلسي بالاهتمام بالأسلوب المشرقي في بداياته، ثم بات أكثر تحررًا، مع اعتماد واضح على الازدواج اللفظي، والسجع، والجناس، والصور البيانية. كما أن البنية الفنية للنصوص الأندلسية أصبحت أكثر تنظيمًا، تعكس عقلية تهتم بالترتيب والجمال الظاهري، مما يتماشى مع الذوق الحضري الذي ساد في مدن الأندلس.إن دراسة تطور النثر في الأدب الأندلسي تبرز مدى غنى هذا التراث وتنوعه، وتكشف عن إسهاماته الكبيرة في تطوير النثر العربي عمومًا،

لا من حيث الشكل فحسب، بل من حيث المضمون وجرأة الطرح أيضًا. فهو نثر متنوع يعكس روح عصره، وينبض بالحياة، ويمزج بين الفكر والجمال.

يتناول هذا البحث دراسة تطور النثر في الأدب الأندلسي، باعتباره أحد الجوانب الأدبية التي لم تحظَ بنفس القدر من الاهتمام الذي حظي به الشعر، رغم غناه وتنوعه. ويسعى البحث إلى تتبع الملامح العامة للنثر الأندلسي منذ نشأته وحتى سقوط الأندلس، مع التركيز على أبرز الأشكال النثرية التي ظهرت في تلك الفترة، كالمقامات، الرسائل، والخطابة.ويعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، حيث يستعرض السياقات السياسية والاجتماعية والثقافية التي أثرت في تطور النثر، ثم ينتقل إلى تحليل نماذج مختارة من النصوص النثرية الأندلسية، بهدف الكشف عن الخصائص الفنية والأسلوبية التي تميزت بها، ومدى تأثرها بالمشرق أو استقلالها عنه.وقد توصل البحث إلى أن النثر الأندلسي مر بمراحل تطور متباينة، وكان في كثير من الأحيان مرآةً حقيقيةً للحياة الأندلسية في أبعادها الفكرية والجمالية، وتميز بأسلوب رشيق، ولغة متأنقة، وابتكار في الصور والتراكيب، مما يجعله جديرًا بالدراسة والاهتمام. ويتناول هذا البحث تطور النثر في الأدب الأندلسي من حيث أشكاله، أساليبه، ووظائفه الاجتماعية والثقافية. ويسعى إلى إبراز الخصائص التي تميز النثر الأندلسي عن نظيره في المشرق العربي، وتسليط الضوء على أعلامه البارزين. ما هي الملامح الفنية والفكرية التي ميزت النثر الأندلسي؟ وكيف تطور عبر العصور الأندلسية المختلفة؟ تبرز أهمية البحث في سد النقص في الدراسات الأدبية التي تتناول النثر الأندلسي مقارنة بالشعر، وتقديم رؤية تحليلية لأشكاله وتطوراته. عندما استقر العرب في بلاد الأندلس، أخذوا يوجّهون عنايتهم إلى نَشر العلوم والآداب حتى صارت الأندلس بجامعاتها ومدارسها مَقْصِداً لأبناء أوربا، كما كانت مَعْبَراً للحضارة العربية الإسلامية إلى هذه القارة. وكان الأندلسيون يتأثَّرون المشرق وينافسونه في العِلم والفن والأدب، فنافست قُرطبة بغداد ودمشق والقاهرة، وكان الأدب من أشهر ما أنتجه الفِكر العربي. والنثر العربي منذ نشأته في المشرق، قد تطور تطوراً كبيراً، ومرَّ بست مراحل محدّدة المعالم من حيث أساليبه وفنونه. المراحل المختلفة التي مرَّ بها النثر العربي في المشق. فإن المرحلة الأولى منها تتمثل في نثر صدر الإسلام والدولة الأموية أو بعبارة أخرى تتمثل في خطب وأقوال الخلفاء الراشدين. وقد كان ظهور عبد الحميد بن يحيى الكاتب في أواخر الدولة الأموية بداية المرحلة الثانية العربي، ذلك أنه طلع على الناس بطريقة جديدة في الكتابة. والمرحلة الثانية في النثر العربي هي المرحلة التي سادت فيها طريقة ابن المقفع في الكتابة وهي طريقة تعنى ببسط المعاني وتوكيدها. وتقترن المرحلة الرابعة في النثر العربي باسم الجاحظ الذي طلع على عصره بطريقة جديدة في الكتابة، تأثر بها الكثيرون من كتاب المشرق والأندلس وتتميز طريقة الكتابة بالجمل القصار والفقرات المقابلة وطريقته بالفكاهة والسخرية ومزج الجد بالهزل.

وقد شهد القرن الرابع مرحلة النثر العربي الخامسة، وكان ذلك على يد ابن العميد الذي استن في الكتابة طريقة وسميت باسمه، وأهم السمات التي تميزت بها طريقته توخيّ السجع القصر الفقرات، والاقتباس من القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. أما المرحلة السادسة والأخيرة من مراحل النثر العربي في المشرق، فتتمثل في طريقة القاضي الفاضل التي استحدثها وبناها على أصول طريقة ابن العميد، مع التوسع فيها، وأهم الأصول التي تعتمد عليها الطريقة الفاضلية هي التزام السجع والتشبيه والاستعارة أو غيره.[1] تلك هي حالة النثر العربي في المشرق والأطوار التي مرَّ بها، وكانت حالة النثر في الأندلس كحالة في المشرق، تقريباً فكل جديد كان يطرأ على نثر المشارقة سرعان ما كان يجد طريقة إلى الأندلس، ويأخذ به الأندلسيون في كل ما ينشئون في فنون النثر. قد قال الأندلسيون في كل فنون النثر التقليدية التي عرفها العرب، وزادو عليها ما اقتضته ظروف حياتهم الخاصة، وهم في هذا وذاك قد أضفوا على نثرهم طابعاص مميزاً، هو وليد أمزجتهم وثقافتهم وشاعريتهم ونقول "شاعريتهم" لأن أكثر أدباء الأندلس كانوا يجمعون بين النثر والشعر، ولهذا

(1)*Al-Adab al-ʻArabī fī al-Andalus* (Cairo: Matbaʻat al-Hilāl, 1990), 429–433.

كان لديهم القدرة على التمييز بين الموضوعات التي تصلح للشعر والتي تصلح للنثر. وسأقصر الكلام هنا على أربعة من فنون النثر الأندلسي، هي: الخطابة، والرسائل، والمناظرات الخيالية، والمقامات. وفيما يلي عرض محالة كل فنٍ من هذه الفنون عند الأندلسيين.[2] شكل النثر في الأندلس أحد أركان الإبداع الأدبي الذي واكب تطور الحياة الفكرية والعلمية في هذه البقعة من العالم الإسلامي. وإذا كانت الأشعار الأندلسية قد لاقت اهتمامًا واسعًا من الدارسين، فإن النثر لا يقل عنها في الإبداع والجمال، بل قد يتفوق في بعض تجلياته على مستوى التعبير الفكري والتقني. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل تطور النثر الأندلسي من حيث الشكل والمضمون، مع التركيز على الجوانب الفنية والبلاغية التي ميزته.

المبحث الأول: البيئة الثقافية وتأثيرها في النثر الأندلسي

عاشت الأندلس نهضة علمية وثقافية نتيجة تفاعلها مع حضارات متعددة كالرومانية والقوطية والإسلامية. وتوفرت في الأندلس بيئة مثالية لنمو الفنون والآداب، حيث أنشئت المكتبات، وانتشرت المدارس، وتعددت المجالس الأدبية. هذا التداخل الحضاري والثقافي أوجد نوعًا من النثر يمزج بين الفكر والعاطفة، وبين الدقة العلمية والأسلوب الأدبي.

المطلب الأول: الخطابة

الخطابة هي الحديث المنطوق تميزاً لها عن الحديث المكتوب، وهي تحتاج إلى خيال وبلاغة، ولذلك تعدُّ من قبيل الشعر أو هي شعر منثور وهو شعر منظوم. وفي الجاهلية كانوا يقدمون الشاعر على الخطيب وظل الأمر كذلك حتى جاء الإسلام فصار الخطيب مقدَّماً على الشاعر، وفي صدر الإسلام تطورت الخطابة عما كانت عليه من قبل بفعل الإسلام فقد زادها القرآن وبلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من محاكاة أسلوبه والاقتباس من آياته تمثلاً أو إشارة أو وعيداً. وهكذا نشأة الخطابة العربية وتطورها حتى الفتح العربي للأندلس فالعرب الفاتحون لم تكن تنقصهم بلاغة الكلمة وفصاحتها التي تعتمد عليها الخطابة فهم ككل أبناء جنسهم يتكلمون العربية عن سليقة. وقد اختلف مؤرخو الأدب حول تعليل هذه الظاهرة، ففريق منهم يرى أن الخطابة الأندلسية كانت راقية مزدهرة في العصور الأولى إلى عصر ملوك الطوائف، وأنها كانت تقدم على الشعر في المحافل العامة، ولشرفها تلقب علماؤها بالخطيب كما تلقبوا بالفقيه. أما الفريق الآخر فيرى أن الخطابة بالأندلس لم تنل من العناية ما يناسب قدرهان لاعتماد الولاة والخلفاء والملوك على السيف دون الكلمة وانصراف الأدباء إلى الشعر والكتابة ولذلك ضاقت مجالات الخطابية الأندلسية وأصبحت مقصورةً على الخطابة الدينية.

لما اشتد الكرب بين يدي الأمير عبد الرحمن الداخل يوم حربه مع يوسف الفهري ورأى شدة مقاساة أصحابه خطبهم قائلاً: "هذا اليوم أُسُّ ما يبنى عليه: إما ذُلُّ الدهر وإما عِزُّ الدهر فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تربحوا بقية أعماركم فيما تشتهون.[3]

المطلب الثاني: المناظرات:

ومن فنون النثر الفني التي خاض فيها كتاب الأندلس بأقلامهم وأكثروا القول فيها "فن المناظرات"، وهو فن يهدف الكاتب من ورائه إلى إظهار مقدرته البيانية وبراعته الأسلوبية في الموضوع الذي يكتب فيه. ومن المناظرات ما يأتي على صوره رسالة يدور الحوار فيها بين شيئين أو أكثر، أو بين شخصين حول موضوع معين. وهذا الفن ليس من مستحدثات الأندلس، فقد سبقهم إليه المشارقة من أمثال الجاحظ في رسائله وذلك مثل رسالته في مناقب الترك ورسالته في فخر السودان على البيضان. ومناظرات الأندلسيين منها مناظرات خيالية، ومناظرات تستمد موضوعاتها من الحقيقة ولا

(2)*Al-Adab al-ʻArabī fī al-Andalus*, 437.
(3)Al-Maqqarī, Aḥmad ibn Muḥammad, *Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb* (Beirut: Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1988), 4:42.

علاقة بالخيال، وفيما يلي بيان لذلك.

1- المناظرات الخيالية:

ومن مناظرات الأندلسيين الخيالية ما جاءت على صورة رسالة التي تعتمد المناظرة والحوار أسلوب تعبير عن موضوعها ومن ذلك رسالة لابن برد الأصغر: فيها موجهة إلى الموقف أبي الجيش مجاهد عامري، وفيها يعقد والحوار بين السيف والقلم.[4]

2- المناظرات غير خيالية:

وهذا النوع من المناظرات منه ما يدور حول الإشادة والفخر بمناقب الأندلس، وتفضيلها على ما عداها في كل شيء ومنها ما تجري المناظرة فيه من مدن الأندلس، حيث تفخر كل مدينة بما خصها الله به من مزايا ومحاسن لا توجد في غيرها. ومن ذلك رسالة للوزير أبي محمد علي بن حزم المتوفى سنة 456هـ يبين فيها فضائل علماء الأندلس، ويرد لها على رسالة لابن الربيب القيرواني ذكر فيها تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمائهم، ومآثر فضائلهم وسير ملوكهم.[5] وهذه الرسائل تتوزع بين اثني عشر كاتباً، يأتي في طليعتهم – من حيث الكثرة – الوزير الكاتب أبو بكر بن عبد العزيز المعروف بابن المرخى (ثماني رسائل) وهذان الكاتبان – على مالهما من شهرة – لم يصلنا من رسائلهما إلا القليل، ومن هنا تبدو أهمية هذه الرسائل التي يحتفظ بها المجموع لهما في التعرف على مكانتهما النثرية على نحو أكثر وضوحاً. ويأتي في الترتيب بعد هذين الكاتبين – من حيث الكثرة أيضاً – أبو بكر بن صاحب الصلاة (أربع رسائل)، ابن سيدة اللغوي (أربع رسائل)، أبو عبد الله بن أبي الخصال (ثلاث رسائل)، الفقيه أبو محمد عبد القوى (رسالتان) ثم رسالة واحدة لكل من: عبدالمجيد بن عبدون، أبي مروان بن زكرياء، أبي جعفر بن أحمد، أبي محمد بن القاسم.

المبحث الثاني: **الرسائل**

تنوعت بين الرسمية (الديوانية) والأدبية والشخصية. اتسمت بالبلاغة والبراعة في توصيل الرسالة بأسلوب فني محكم. ومن أبرز أعلامها ابن عبد ربه وابن حزم. عصورهم المتأخرة فإن الغالب على أسلوب خطابتهم هو الإطالة في الجمل والتكلف في السجع وغيرها.

المطلب الأول: **الرسائل الديوانية**

يضم هذا المجموع مجموعة من الرسائل الديوانية والسياسية، التي تنتمي إلى عهد المرابطين، وأغلبها صادر عن ديوان الإنشاء الرسمي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي تولى إمرة المسلمين في المغرب والأندلس بعد وفاة أبيه يوسف بن تاشفين سنة 500هـ، ودام حكمه حتى سنة 537هـ، وقد ازدهر ديوان الإنشاء في عهده ازدهاراً لم تشهد الدولة المرابطية، واجتمع له عدد كبير من الكتاب البارزين، وفي ذلك يقول عبد الواحد المراكشي:[6] "ولم يزل أمير المسلمين (علي بن يوسف) من أول إمارته يستدعي أعيان الكُتَّاب من جزيرة الأندلس، وصرف عنايته إلى ذلك؛ حتى اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك كأبي القاسم ابن الجد المعروف بالأحدب، أحد رجال البلاغة، وأبي بكر محمد بن محمد المعروف بابن القبطرنة، وأبي عبد الله بن أبي الخصال، وأخيه أبي مروان، وأبي محمد عبدالمجيد بن عبدون ... في جماعة يكثر ذكرهم." ويستأثر أبو مروان بن أبي الخصال بأغلب الرسائل الديوانية الواردة في هذا المجموع إذ يحتفظ له صاحبه بست منها بالإضافة إلى رسالتين أخريين في الإخوانيات. وكان أبو مروان وأخوه عبد الله بن من أعظم كُتّاب الدولة المرابطية، وقد ولد أبو مروان (عبدالملك بن مسعود) في قرية فرغليط من جهة شقورة ثم استقر مع أخيه الأكبر أبي عبد الله في قرطبة،

(4)*Al-Adab al-ʻArabī fī al-Andalus*, 46–470.
(5)Aḥmad ibn Muḥammad al-Maqqarī, *Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*, 4:154.
(6)Al-Marrākushī, ʻAbd al-Wāḥid, *Al-Muʻjib fī Talkhīṣ Akhbār al-Maghrib* (Rabat: Matbaʻat al-Riyāḍ, 1975), 237.

وروى بها عن أعلام أهل العلم حتى نبغ في الكتابة وصار كما يصفه عبدالملك المراكشي "من أهل الأدب والتقدم في الكتابة والبلاغة والفصاحة، ذا حظٍّ من الشعر."[7] ومن رسائله الديوانية في هذا المجموع رسالة كتب بها عن علي بن يوسف إلى يحيى بن علي بن غانية يكلفه بولاية بلنسية، وكان علي من القواد الذين اضطلعوا بدور بارز في خدمة المرابطين، وقد وصفه عبدالواحد المراكشي بأنه "كان حسنة من حسنات الدهر، اجتمع له من المناقب ما افترق في كثير من الناس، فمنها أنه كان رجلاً صالحاً شديد الخوب لله – عز وجل – والتعظيم له والاحترام للصالحين، هذا مع علوّ قدم في الفقه واتساع رواية للحديث؛ وكان مع هذا شجاعاً فارساً، إذا ركب عدّ وحده بخمسمائة فارس، وكان علي بن يوسف يعده للعظائم ويستدفع به المهمات، وأصلح الله على أيديه كثيراً من جزيرة الأندلس، ودفع به عن المسلمين غير مرة مكاره قد كانت نزلت بهم."، وقد ذكر المراكشي أنَّ أمير المسلمين علي بن يوسف ولاه مدينة بلنسية ثم عزلها عنها وولاه قرطبة، فلم يزل بها والياً إلى أن مات أول الفتنة الكائنة على المرابطين.[8]

المطلب الثاني: الرسائل الإخوانية

ويحتفظ المجموع بجملة من الرسائل الإخوانية المتبادلة بين الكُتَّاب، وتمتاز هذه الرسائل بتنوع موضوعاتها، كإظهار المودة والتشوق والتهنئة والعتاب وغير ذلك. ومن أمثلتها رسالة أبي مروان بن أبي الخصال التي كتبها إلى القاضي أبي مروان بن عبد الملك (رقم 29)، وهي مراجعة لرسالة كتبها القاضي أبو مروان يعاتبه فيها على إغباب المراسلة، ويعتذر أبو مروان بن أبي الخصال لصاحبه القاضي عن ذلك متعللاً بانشغاله وما يتعرض له من أحداث جسام وأحوال مضطربة مما يتضح في قوله: "إن السيد الأعز – أعز الله – ينبغي له إذا ملك أن يسجع في القول، ويبسط في التجاوز يد الطول، ويتناول في إغبابنا ما يرانا به من أحوال لا تضبط، وتقلبنا فيها بين مزار يشحط، وأمور لا تدخل تحت ما يشترط، فنحن ننجذب في أعنّة الأقدار، ونتصرف كيفما تصف بنا غربات الدار، ثم إذا نحن ألمنا يوماً بالخيام، وحططنا للمقام، ووصلنا شدَّة الأيام، وردنا على مزدحمات الأشغال، ورمينا عن مجاشم العمل بفادحات الأثقال، والعوائق عن اللوازم لاخفاء بمكانها، ولا افتقار بنا – مع وضوحها – إلى بيانها." وتدور الرسالة رقم (6) حول إظهار المودة ويكثر كاتبها من الثناء على صاحبه لما أسداه إليه من صنيع، وما طبع عليه من وفاء وبر ومودة مما يتمثل في قوله: "لا جرم – أعز الله السيد الأمجد ، منجدى ويدى، ومقيم أودى، أن أعمر بشكره الزمان، وأحدّ ذلك اللسان والبيان، وأضاهى به صوحان وسحبان، وقد جلى لي ودُّه عروساً، وأوضح سبل السيادة بعد أن عفت دروساً، ومنح درذُ البر وقد حشكت الأخلاف، ووصل سبب التأنيس حتى أوحشت الأخلاف، واتفق مع نفسه على الوفاء بحديث العهد لمّا عمّ قديمه الإخلاف، فوفى وقد خان الزمان، ووفى وقد نقس الميزان."وقد راجعه أبو عبد الله بن أبي الخصال برسالة تسمى "الحولية"، وقد وصفها عبدالواحد المراكشي بأنها "لم يكتب مثلها في بابها" وأن كاتبها "أبدع فيها غاية الإبداع".[9] وإذا كان ابن عبدون قد جنح في رسالته إلى التصن، فإنَّ ابن أبي الخصال قطع شوطاً بعيداً في ذلك؛ فعمد إلى التعقيد اللفظي، والتأنق البديعي، وأكثر فيها من نثر الشعر، وتضمين الأمثال، والتورية بالأسماء مما أضفى عليها قدراً كبيراً من الغموض، وقد لاحظ عبد الواحد المراكشي ذلك فقد وهو في معرض الثناء عليها: "إنَّ فيها بعض تكلَّف".

المطلب الثالث: الرسائل الوصفية

وفي المجموع خمس رسائل تدور حول موضوعات وصفية فمن ذلك رسالة ابن صاحب الصلاة في وصف جامع قرطبة

(7)*Al-Dhayl wa al-Takmila* (Tunis: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1992), 5/1:47; see also translation in *Al-Takmila*, no. 17065; *Bughyat al-Multamis* (Fez: Matba'at al-Najāḥ, 1980), 382, no. 1706; *Al-Maghrib* (Casablanca: Dār al-Nashr, 1970), 2:68.
(8)'Abd al-Wāḥid al-Marrākushī, *Al-Mu'jib fī Talkhīṣ Akhbār al-Maghrib*, 342–343.
(9)'Abd al-Wāḥid al-Marrākushī, *Al-Mu'jib fī Talkhīṣ Akhbār al-Maghrib*, 334.

(رقم4)، وهي تنم عن قدرة عالية على الوصف ومهارة في استقصاء الجزئيات، وبراعة في التشبيه والتصوير، وقد كتبها حين شخص إلى قرطبة لحضور ليلة القدر والجامع "قد كسى بردة الازدهاء، وجلى في معرض البهاء، وكأنَّ شرفاته فلول في سنان، أو أشر في أسنان، وكأنّما على سمائه كلل، أو خلعت على أرجائه حُلل ... وللذبال تألُّق كنضنضة الحيَّات، أو إشارة السبّابات في التحيّات" ويعنى ابن صاحب الصلاة بوصف أجواء المسجد حيث "الطيب تفغم أفواحه، وتتنسم أرواحه، وقتار الألنجوج والنّد، يسترجع من روح الحياة مانذَّ" كما يعنى بتصوير حركة الناس داخل المسجد في تلك الليلة المباركة، فهم "بين ركّع وسُجَّد، وأيقاظ وهُجَّد، ومزدحم على الرّقاب يتخطّاها، ومقتحمٍ على الظهور يتمطّاها" ويتتبعهم بعد أن انتهت الصلاة حيث "تبادروا بالتكليم، وتجاذبوا بالأثواب، وتساقوا بالأكواب"، كما يرصد ابن صاحب الصلاة صوراً أخرى، بعضها للعلماء وهم يتدارسون حيث "تنسكب العلوم بينهم اسكاب الودق"، وينقل صورة أخرى للقومه وهم "يجهدون في دفع الضرر، ويعمدون إلى قرع العمد بالذّرر". وهناك ثلاث رسائل تدور حول موضوع واحد هو "وصف الغيث"[10]

وقد جعله الكتّاب مجالاً لإظهار براعتهم في الوصف، وقدرتهم على التصويري والإبداع، فمن ذلك رسالة أبي بكر بن عبدالعزيز(رقم 15) التي يصف فيها غيثاً إثر جدب حيث استلّهت مع اصباح غمامة محملة بالمطر "تمشي من الثقل هوناً، وتستدعى من الريح عوناً" وطفقت الغمامة تدرُّ رويداً حتى "انخرق جيبها، وانبعق سيبها، فصار الطّل وبلا، وعاد الخيط حبلاً"، ويتأنق الكتاب في رسم صورة وهو يصف انهمار المطر، "فالسحاب يتعلّق، والبرق يتألق، والرعد يرتجس، والقطر ينبجس، من غروب هامعة، وجفون دامعة، تبكى بلا حزن، وتجري على وزن، والنُّقط تتوافى طباقاً، وتتبارى سباقاً، فيرتدف السابق بالمصلى، ويتصل التابع بالمولى." ويأتي المشهد الأخير في تلك اللوحة التصويرية حيث نشاهد الأرض بعد أن أخذت ريَّها من الغيث، وقضت منه وطرها "وقد أخرجت زخارفها، ونشرت مطارفها، وتجلّت رباها للعيان، وتزينت بزيّ القيان" ويصف أثر هذا الغيث الذي جاء إثر جدب فبعث الحياة في المخلوقات "وبسط الشحيح يده بالإنفاق، وبعث صفوة الإرفاق، وهان على المملق طول السنين، وعول البنين، وأصبح الزمان جديداً، ورأى الزارع سروراً لتمام أمله، ونجاح عمله، وربعت الشاء، وكثرت النعم والآلاء، وزادت الوحش في عددها، وعادت الطّير إلى شَدْوها".

المطلب الرابع: الرسائل الاجتماعية

يضم المجموع بعض الرسائل التي تتناول بعض الظواهر الاجتماعية، فمن ذلك الرسالة رقم (1) التي كتبها الفقيه المشاور أبو محمد عبد القوى في نكاح ابنته إلى أحد الفقهاء، وهي رسالة طريفة في موضوعها ومضمونها؛ وهي تنطلق من فكرة اجتماعية مؤداها أن المبادرة بتزويج النبات إحسان لهنَّ، وصيانة لأعراضهن، ويعرض الكاتب لوضع المرأة في الجاهلية حيث كان الآباء يدسون بناتهن في التراب خوف الفتنة، وقد جاء الإسلام فأعلى من شأن المرأة، ويرى الكاتب أن إقدامه على أن يخطب لابنته إنما هو اقتداء بالسلف الصالح، فقد "خطب الصالحون لبناتهم، وتكلفوا ذلك ليلاتهم، ولم يروا فيه من نقص ولا شين" ويضرب أمثلة لذلك، فقد عرض شعيب على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه، وعرض عمر بن الخطاب على أبي بكر أن يزوجه حفصة، ويختم رسالته بدعوة من خطبه لابنته إلى زيارته لإتمام الخطبة. ويتصل بهذا الضرب من الرسائل ما كتبه صاحب الرسالة السابقة يدعو أصدقاءه إلى المشاركة في الاحتفال بإعذار بنيه (الرسالة رقم 2) "فقد شرعت لهم كرامة، وتركها – من غير عذر – يقدح في الشهادة والإمامة، وقد أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يندب لذلك ويدعى، وتعين ذلك أدباً وشرعاً، وقد دعا لذلك أفاضل السلف، وجلّة الصحابة."[11] ويلحق بهذا الضرب كذلك الرسالة (رقم 16) التي كتبها الوزير الكاتب أبو بكر بن عبد العزيز إلى صاحب

(10)Pīr Muḥammad Chishtī, *Al-Rasā'il* (Baghdad: Matba'at al-Muthannā, 1965), nos. 7, 15, 23.
(11)Pīr Muḥammad Chishtī, *Al-Rasā'il*, 58.

مدينة مالقة، وهي تشير إلى تفشى آفة اللواط في بعض فئات المجتمع الأندلسي، ومما يؤكد ذلك قوله: "ولا شك أنّ بذلك القطر – حماه الله – من يدين بقوم لوط، ويركب من أسافل التين أعالى البلّوط، ويريد أن يرتشف لماه، ويستبيح حماه، ويملأ الفارغ من جلده، ويسميه باسم جدّه، ويفضّله على ذات الشّنف والقرط، ويبدأ به قبل ربّه النَّصيف والمرط."[12]نهل الشعراء والكتاب من معين الدين الإسلامي الحنيف في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد حاولوا في كثير مما انتجوه في هذا المضمار أن يحثوا الناس على امتثال أوامر الله عزّ وجل، فقد كانت التعاليم الدينية مصدرهم الذي ينطلقون منه ليصلوا إليه، فكتبوا موصين الناس بضرورة العمل الصالح وحفظ القرآن والحفاظ على الصلاة والصيام وإقامة شعائر الإسلام، فجاءت الوصايا الدينية لتحصن المتلقين على امتثال أوامر الله عز وجل واجتناب نواهيه والتزام جادّة الشريعة والطريق القويم.ففي التحذير من الركون إلى الدنيا وما فيها من متاع الغرور وضرورة التنبه والعمل لملاقاة الخالق عزّ وجل يقول ابن الجنّان: "ولا تخدعكم هذه الدنيا الدنية بتهاويل الأباطيل وأضغاث الأحلام، ولا تنسينكم خدعها المموهة وخيالاتها الممثلة ما خلا من مقالاتها في الأنام، فهي دار انتياب النوائب، ومصاب المصائب، وحدوث الحوادث وإلمام الآلام ."[13] ومن هذا ما أوصى به الأمير أبو يعقوب أهل غرناطة ردّاً على مبايعتم إيّاه بقوله: "... والذي نوصيكم به تقوى الله والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه". وفي الحضّ على تعلم القرآن وتنشئة الأولاد على تعلّمه وتدبر أحكامه، يقول لسان الدين[14]: "وعلموا القرآن **صبيانكم، فهو أسّ المبني، وازرعوه في تراب ترائهم** فعسى أن يجنى". ويتضح هنا تأثر لسان الدين بن الخطيب بقوله تعالى في كتابه العزيز: "يخرج من بين الصلب والترائب"[15]. ويلتمس القاريء أن لسان الدين لم يزج باللفظة اعتباطاً، وإنما التفت إلى حسن استثمارها؛ لتؤدي معنى يفيض جمالاً، وهو هنا يؤكد ضرورة تعليم الصبيان كتاب الله قبل بلوغهم الحلم.وقد حَثّ على ذلك ابن الجنان في وصيته على لسان ابن هود قائلاً: "مروهم بأن يعلموا أولادهم كتاب الله تعالى فإن تعليمه للصغار يطفئ غضب الرب." ويؤكد ابن الجنّان على لسان ابن هود ما ذهب إليه لسان الدين بن الخطيب بضرورة تعليم الناشئة كتاب الله قبل أن يبلغوا الحلم، فتلهيهم الدنيا وشهواتها ولذاتها ولم يفوت – على سبيل الترغيب – ذكر أثر ذلك الفعل وما أعَدَّ الله لفاعله. وفي نبذ البدع يقول لسان الدين: "واثنفوا من الحوادث الشنيعة، والبدع التي تفت في عضد الشريعة". ولسان الدين في وصيته هذه ينهل من معين محمد صلى الله عليه وسلم ويقتبس من قوله: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ".[16] وقوله صلى الله عليه وسلم: "وشرّ الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار".[17] ترك الموصي لمتلقيه فيضاً من خبراته ومشاهداته فسجل له خلاصة تجاربه وعصارة شبابه، وترك له أسساً وقواعد عامة في التعامل مع الآخرين المقرّبين منهم والأبعدين على اختلاف طبقاتهم وأطيافهم وميولهم. وفي معاملة الآخرين أوصى ابن سعيد ابنه بأن ينزل كل شخص منزله، لقوله: "وإياك أن تعطي من نفسك إلا بقدر، فلا تعامل الدون بمعاملة الكفء، ولا الكفء بمعاملة الأعلى". ولم يقصد ابن سعيد من وصيته إساءة الظن بالناس جميعاً، فالناس ليسوا سواءً؛ ولذا احترز ابن سعيد اليأمن وليضمن عدم إساءة الفهم، وهو مع هذا كله لا يغفل فطنه ابنه وفراسته ولباقته ونباهته فيقول[18]: "ولا يحملنّك أيضاً هذا القول أن تطنّه في كل أحد، وتعجل المكافأة، وليكُن حُسن الظن بمقدار ما، واصبر ما، والفطن لا

(12)Pīr Muḥammad Chishtī, *Al-Rasā'il*, 100.
(13)Aḥmad ibn Muḥammad al-Maqqarī, *Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*, 7:428.
(14)Aḥmad ibn Muḥammad al-Maqqarī, *Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*, 7:380.
(15)Sūrat al-Ṭāriq, 86:7.
(16)Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* (Maktaba Raḥmāniya: Damascus, 1995), 2:959.
(17)Qushayrī, Muslim ibn Ḥajjāj, *Ṣaḥīḥ Muslim* (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 2000), 2:592.
(18)Aḥmad ibn Muḥammad al-Maqqarī, *Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*, 2:357.

تفخى عليه مخايل الأحوال، وفي الوجوه دلالات وعلامات". كما أوصى ابن سعيد ابنه بمخالطة الناس بقدر محدود فلا يكثر من الزيارة أبداً على أن لا يجافي أحداً، حتى يحفظ ما بينه وبين الآخرين قائلاً: وأقلل من زيارة الناس ما استطعت، ولا تجفهم بالجملة، ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه ملل ولا ضجر ولا جفاء، ولا تقل أيضاً أقعد في كسر بيتي ولا أرى أحداً، وأستريح من الناس، فإنّ ذلك كسل داع إلى الذل والمهانة، وإذا علم عدوّ لك أو صديق منك ذلك عاملاك بحسبه، فازدراك الصديق وجسر عليك العدو."[19] ولا يكتفي الموصي بذلك، وإنما يحدد لمخاطبة أيّ الناس يخالط ويقارب لقول ابن سعيد: "ولتحرص جهدك على أن لا تصحب أو تخدم إلاّ ربّ حشمة ونعمة، ومن نشأ في رفاهية ومروءة، فإنك تنام معه في مهاد العافية."[20] وهو لا يكتفي بإسداء النصيحة بل يحشد البراهين ليجعلها تنزل من سامعه منزل القناعة، لقوله:"وإن الجياد على أعراقها تجري، وأهل الأحساب والمروءات ينكرون منافعهم متى كانت عليهم فيها وَصْمة".[21] ويسوق الأمثلة لذلك لقوله: "وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان: أشرب مصعب الخمر؟ فقال عبد الملك – وهو عدوّ له محارب له على الملك - : لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شربه.والفضل ما شهدت به الأعداء".[22] فهو يرسم حدوداً للعلاقة مع الصاحب على أن يسودها حسن المعشر لأن الدنيا دار مفارقة وتغيُّر.قضى مالك الملك يوم خلق الخلق وبسط الرّزق بأن الأيّام دول، وجعل مفاتيح الملك ومقاليد زواله بين يديه جلّ وعلا فقال: "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء."[23] وهذا الناموس لا يتغير ولا يتبدّل حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وسواء طال عمر الممالك أو قصُر، فإن انتقال الملك أمرٌ محسوم، وزواله أمرٌ محتوم وإذا كان هذا هو الحال أنّى وجّهت نظرك وقلبت بصرك فقد كان الحال كذلك في الأندلس ملك يطول وملك يزول ونجمٌ يطلع وآخر إلى أفول وراعٍ يرحل والأمر لغيره يؤول.يشدد لسان الدين على أهمية منصب الوزير؛ إذ هو أفضل عُدَد الأمير يصونه عن الابتذال ومباشرة الأنذال ويذكره إذا نسي، ويقدم له النصح والمشورة ولكنه يحذّر منه قائلاً: "واحذر مصادمة تياره، والتجوّز في اختياره، وقدّم استخارة الله تعالى في إيثاره، وأرسل عيون الملاحظة على آثاره" ويبين الصفات التي يجب أن يختار الوزير بناءً عليها كأن يكون زاهداً في الملك، راعياً للذمّة، حليماً، عالي القدر، من نَسَبٍ شريف، خبيراً بشؤون الدولة، وقد نبّه لسان الدين إلى خَطَر الوزير وضرورة تجنّب اختيار من يطمع في الملك، راعياً للذمّة، حليماً، عالي القدر، من نَسَبٍ شريف، خبيراً بشؤون الدولة، وقد نبّه لسان الدين إلى خَطَرِ الوزير وضرورة تجنب اختيار من يطمع في الملك لهذا المنصب، ويشير إلى خطر أن يكون مال الوزير أكثر من مال الملك، أو أن يكون ممن عمل عند أعدائه وهو بهذا، ينصح الملك ليحقق الفائدة المرجوة من وزرائه وينقذ نفسه من أخطارهم. وفي كيفية التعامل مع طبقات المجتمع، يبيّن لسان الدين الحَدّ الذي يجب أن تصل إليه الرَّعية من تعامل الحاكم معها بقوله: "... حتى تستشعر عليتُها رأفتك وحنانك، وتعف أوساطها في النَّصَبِ امتنانك، وتحْذر سفلتها سنانك، وحظّر على كل طبقة منها أن تتعدى طورها، أو تخالف دورها، أو تجاوز بأمر طاعتك فورها وامنع أغنياءها من البطر والبطالة، والنظر في شبهات الدين بالتمشدق والإطالة. "وحديثه في هذا طويل مُفصّل.[24] ومن وصايا لسان الدين في سياسة شؤون الرعية، وحمايتهم والعناية بهم فهم ودائع الله بين أيدي الحكام، قوله: "رعيتك ودائع الله تعالى قبلك، ومرآة العدل الذي عليه جبلك، ولا تصل إلى ضبطتهم إلاّ بإعانة الله تعالى التي وهب لك، وأفضل ما استدعيت به عونه فيهم، وكفايته التي تكفيهم، تقويم نفسك عند

(19)Aḥmad ibn Muḥammad al-Maqqarī, *Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*, 2:357.
(20)Aḥmad ibn Muḥammad al-Maqqarī, *Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*, 2:358.
(21)Aḥmad ibn Muḥammad al-Maqqarī, *Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*, 2:358.
(22)Aḥmad ibn Muḥammad al-Maqqarī, *Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*, 2:358.
(23)Sūrat Āl ʻImrān, 3:26.
(24)Aḥmad ibn Muḥammad al-Maqqarī, *Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*, 6:433.

قصد تقويمهم، ورضاك بالسَّهر لتنويمهم، وحراسة كهلهم ورضيعهم، والترقع عن تضييعهم، وأخذ كل طبقة بما عليها وما لها، أخذاً يحوط ما لها، ويحفظ عليها كمالها."

المبحث الثالث: المقامات

على الرغم من أن فن المقامة نشأ في المشرق، إلا أنه وجد في الأندلس بيئة خصبة للتطور، فبرزت مقامات تستلهم الحياة الأندلسية وتظهر جماليات اللغة.انتقل فن المقامات إلى الأندلس عن طريق الاتصال الثقافي بالمشرق، سواء عبر الرحلات العلمية أو الكتب التي جُلبت إلى قرطبة وإشبيلية وغرناطة.في الأندلس لم يقتصر على المحاكاة، بل اتجه إلى صبغ المقامة بروح أندلسية من حيث الموضوعات، والألفاظ، والصور المستوحاة من طبيعة الأندلس وواقعها الاجتماعي.

خصائص المقامات الأندلسية

1. اللغة: جزلة ولكن أخف من مقامات المشرق، مع عناية بالإيقاع الموسيقي.

2. **الموضوعات:** تصوير الحياة الاجتماعية في المدن الأندلسية، السخرية من الفساد أو المظاهر الخادعة، نقد المتسولين والشحاذين، والمباهاة بالعلم والذكاء.

3. الطابع المحلي: ورود أسماء أماكن أندلسية، وعاداتهم، ومظاهر الطبيعة من أنهار وبساتين.

المبحث الرابع: النثر الفلسفي والعلمي

ظهر مع أعلام كابن رشد وابن طفيل، حيث استخدموا النثر كوسيلة لعرض الفكر الفلسفي بطريقة عقلانية فنية.عبر عن التجربة الروحية والوجدانية، وامتاز بالرمزية والشفافية. ومن أمثلته كتابات ابن العريف وابن سبعين.

1. عوامل ظهوره

الترجمة والنقل: حركة ترجمة الكتب الفلسفية والعلمية من اليونانية والسريانية إلى العربية (أرسطو، أفلاطون، جالينوس... إلخ).

الاحتكاك بالمشرق: تأثر العلماء الأندلسيين بفلاسفة المشرق مثل الفارابي وابن سينا.

الدعم السياسي: بعض الخلفاء والأمراء (مثل الحكم المستنصر) شجّعوا الفلاسفة وأمدّوهم بالمكتبات.

2- خصائص النثر الفلسفي الأندلسي

امتزاج الأسلوب المنطقي بالصياغة الأدبية.

الإيجاز والوضوح في طرح الفكرة، لتناسب غرض التعليم والمناظرة.

الإكثار من التعريفات الدقيقة للمصطلحات.

الجمع بين البرهان العقلي والنص الديني في معالجة القضايا.

المبحث الخامس: السير والتراجم

مثلت بعدًا تاريخيًا وثقافيًا للنثر، كما في مؤلفات ابن الخطيب ولسان الدين بن الخطيب، الذين كتبوا تراجم العلماء والأدباء بأسلوب يجمع بين السرد والموعظة.

1. أهمية السير والتراجم في الأندلس

توثيق الحياة العلمية والثقافية: كانت هذه الكتب سجلاً للحركة العلمية في المدن الأندلسية.

حفظ التراث المحلي: الأندلسيون أرادوا أن يثبتوا أن لديهم علماً ومجدًا لا يقل عن المشرق.

لجانب التعليمي: كانت كتب التراجم مصادر للطلاب لمعرفة طبقات العلماء وسلاسل الإسناد.

البعد الأدبي: كُتبت بأسلوب بلاغي يجمع بين الإيجاز والجمال، ويضم شواهد شعرية.

3. سمات التراجم الأندلسية

الاهتمام بالجانب العلمي: التركيز على الشيوخ والتلاميذ ومؤلفات المترجَم.

الربط بالشعر: إدراج أبيات شعرية من نظم المترجم أو قيلت فيه.

الترتيب الطبقي أو الزمني: ترتيب الأعلام حسب الأجيال أو الحروف.

النزعة المحلية: إبراز فضل مدن معينة مثل قرطبة أو غرناطة.

الإيجاز مع الفائدة: معظم التراجم قصيرة لكنها غنية بالمعلومات.

المبحث السادس: السمات الفنية للنثر الأندلسي

1. الاهتمام بالمحسنات البديعية:كثرة السجع والجناس والتورية، تأثرًا بالذوق الأندلسي الرفيع.

2. **الخيال والتصوير:** اعتمد الكتّاب على الصور البلاغية والتشبيهات المستمدة من البيئة الأندلسية الخلابة.

3. **العمق التحليلي:** خاصة في النثر الفلسفي والديني، حيث نجد عرضًا للأفكار بأسلوب منطقي متسلسل.

4. **ازدواجية الأسلوب:** يجمع بين البساطة والبلاغة، فكان الكاتب الأندلسي يراعي المتلقي، فيكتب بأسلوب يتنوع بحسب الموضوع.

لقد عكس النثر الأندلسي صورة حضارية متكاملة عن المجتمع الأندلسي في مختلف جوانبه. ومن خلال تطوره، نلمس تفاعل الأندلسيين مع ثقافتهم الإسلامية والعربية، وكذلك مع بيئتهم الغربية. إن دراسة النثر الأندلسي فنياً وتحليلياً تكشف عن غناه وتنوعه، وتبرز قيمته في مسيرة الأدب العربي. يُعَدُّ الأدب الأندلسي فرعًا مزدهرًا من فروع الأدب العربي، وقد شهد تطورًا ملحوظًا في شِقّيه الشعري والنثري. وبينما أخذ الشعر الأندلسي شهرة واسعة، فإن النثر الأندلسي لم يكن أقل شأناً، بل تطور وفق بيئته الحضارية والثقافية والاجتماعية. يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على سمات تطور النثر في الأدب الأندلسي من خلال دراسة تحليلية فنية لأبرز أنواعه ومميزاته.أسهمت الظروف السياسية والاجتماعية في تطور النثر، حيث شهدت الأندلس فترات من الاستقرار والازدهار العلمي، ما أدى إلى تشجيع حركة التأليف والكتابة. كما كان لتنوع الثقافات (العربية، والبربرية، والأوروبية) أثر في انفتاح الأندلسيين على أنماط جديدة من النثر والتعبير.

عد هذه الجولة التحليلية في تطور النثر الأندلسي، تتبين لنا أبعاد متعددة لهذه الظاهرة الأدبية، سواء من حيث تطورها الزمني أو تنوع أشكالها الفنية والفكرية. لقد أثبت النثر الأندلسي قدرته على مواكبة متغيرات العصر، والتعبير عن هموم الإنسان الأندلسي، سواء على المستوى السياسي أو الثقافي أو الروحي. وقد كشف البحث أن النثر في الأندلس لم يكن مجرد تابع للنموذج المشرقي، بل سعى منذ مراحله المبكرة إلى تشكيل هوية مستقلة، تجلت في المزج بين الأصالة والتجديد، وفي التوظيف الفني لعناصر البلاغة والتصوير، دون الوقوع في إسراف لفظي أو ضعف معنوي. كما برزت في ثنايا هذا النثر أجناس متعددة، مثل الرسائل والمقامات والنثر الفلسفي والصوفي والعلمي، مما يدل على حيوية المشهد الأدبي وقدرته على التفاعل مع التيارات الفكرية والدينية والمعرفية.من الناحية الفنية، وُجد أن النثر الأندلسي يمتاز بالبراعة في استخدام السجع والتوازن في الأسلوب، إلى جانب ثراء الصور البلاغية وتنوع الأساليب التعبيرية، الأمر الذي جعله منجزًا فنيًا يستحق الدراسة والتحليل. وختامًا، فإن هذا البحث يفتح المجال أمام دراسات أوسع في موضوع النثر الأندلسي، من حيث المقارنة مع نثر المشرق، أو دراسة أعلام محددين بعمق، أو تحقيق نصوص نثرية لا تزال في طيّ المخطوطات، ليُستكمل بذلك رسم الصورة الكاملة لهذا الفن الأصيل. من خلال الدراسة التحليلية والفنية لتطور النثر في الأدب الأندلسي، توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. **النثر الأندلسي ذو هوية مميزة:**لم يكن النثر الأندلسي مجرد انعكاس للنثر المشرقي، بل تكوّنت له شخصية مستقلة نابعة من البيئة الأندلسية المتنوعة ثقافيًا وحضاريًا.

2. **تعدد الأجناس النثرية وتطورها:** شهد الأدب الأندلسي تنوعًا ملحوظًا في الأجناس النثرية، مثل الرسائل، والمقامات، والنثر الفلسفي، والصوفي، والعلمي، والتاريخي، مما يدل على ثراء فكري وأدبي.

3. **امتزاج البعد الجمالي بالبعد الفكري:** استطاع النثر الأندلسي أن يحقق توازنًا بين الجمالية البلاغية والمضمون الفكري العميق، فظهر نثر يجمع بين الزينة اللفظية والغاية الفكرية.

4. **هيمنة الأساليب البلاغية كالسجع والتصوير:** برز استخدام السجع بشكل فني متوازن لا يطغى على المعنى، إلى جانب توظيف الصور البيانية والمحسنات البديعية بصورة تدل على براعة الكُتّاب الأندلسيين.

5. **تأثر النثر الأندلسي بالبيئة السياسية والاجتماعية:** جاءت موضوعات النثر معبرة عن قضايا الواقع الأندلسي، من تقلبات سياسية إلى مشكلات فكرية وروحية، ما جعله وثيقة أدبية تاريخية مهمة.

6. **إسهام النثر الأندلسي في النهضة الفكرية الإسلامية:** كان للنثر الأندلسي دورٌ بارزٌ في إثراء الفكر العربي الإسلامي، خاصة من خلال كتابات الفلاسفة والعلماء والأدباء، الذين نقلوا المعرفة بأسلوب يجمع بين العقل والبلاغة.

7. **الحاجة إلى مزيد من التحقيق والدراسة:** لا تزال هناك نصوص نثرية أندلسية بحاجة إلى تحقيق علمي، كما أن كثيرًا من الجوانب الفنية والأسلوبية لم تحظ بعد بالتحليل الكافي في الدراسات الحديثة.

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

Bibliography / کتابیات

* *Al-Adab al-ʻArabī fī al-Andalus*. Cairo: Matbaʻat al-Hilāl, 1990.
* *Al-Maqqarī, Aḥmad ibn Muḥammad. Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*. Beirut: Dār al-Kitāb al-ʻArabī, 1988.
* *Al-Marrākushī, ʻAbd al-Wāḥid. Al-Muʻjib fī Talkhīṣ Akhbār al-Maghrib*. Rabat: Matbaʻat al-Riyāḍ, 1975.
* *Al-Dhayl wa al-Takmila*. Tunis: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1992.
* *Bughyat al-Multamis*. Fez: Matbaʻat al-Najāḥ, 1980.
* *Al-Maghrib*. Casablanca: Dār al-Nashr, 1970.
* *Chishtī, Pīr Muḥammad. Al-Rasā'il*. Baghdad: Matbaʻat al-Muthannā, 1965.
* *Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʻīl. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Damascus: Maktaba Raḥmāniya, 1995.
* *Qushayrī, Muslim ibn Ḥajjāj. Ṣaḥīḥ Muslim*. Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī, 2000.